يهتمون به فهل يعرفونه ؟

للأستاذ عباس محمود العقاد

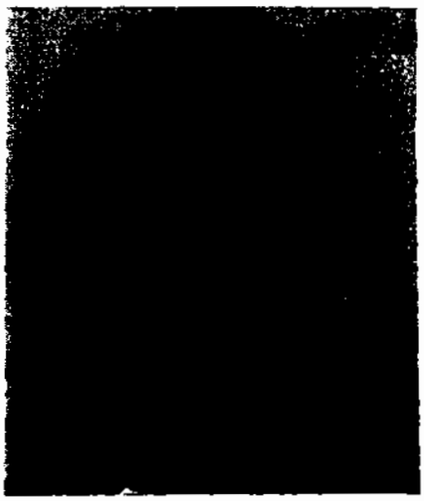

العصر الحاضر من العصور التى اشتد فيها الاهتمام بالعالم الاسلامى بين جميع الدول الكبرى

لأن هذه الدول على وشك القتال ، وتعلم كل منها ولا ريب أنها غانمة رابحة ، وأنها كبيرة الأمل فى النصر إذا ظفرت من اليوم بمودة الشعوب الاسلامية ؛ وهى موزعة فى المواقع التى تحوم حولها المطامع ويتأشب فيها النزاع

فاليابان تنادى بمبدأ « آسيا للآسيويين » وتعنى بذلك أن « آسيا لليابانيين » وتعرف ما تكسبه فى أسواق التجارة وفى ميادين الحرب إذا هى استمالت إليها مسلمى الصين والهند وما وراءهما من أواسط آسيا ، فضلاً عن المسلمين فى جزر الهند ، وهم أصحاب شأن عظيم فى تلك الأرجاء

والولايات المتحدة لا يسعها أن تنسى الاهتمام بشىء يهتم به اليابانيون ، وبخاصة كل شىء تكون له علاقة بالصين والفليبين وشواطئ المحيط الهادى فى عدوتيه

والدولة الشيوعية الكبرى — وهى الروسيا — تقف لليابان بالمرصاد فى القارة الآسيوية ، وتتودد إلى المسلمين هناك ، وهى حائرة لا تدرى هل تهدم الشعائر الدينية تطبيقاً لمذهبها فتغضب المسلمين وتدفع بهم إلى أحضان خصومها ، أو تبقى على الشعائر الدينية فتغضب دعاتها ولا تستطيع التوفيق بين برامجها فى الأرض الروسية وبرامجها فى البلاد التى تصاقبها وتبادلها المعاملات التجارية والسياسية .

ولا تتخلف « الفاشية » فى المضمار ، بل يبرز على رأسها « موسوليني » منادياً بأنه « حامى » الإسلام ونصير المسلمين ، ولو كان على نصيب من « الحذق الاستعمارى » أوفى من هذا النصيب لعلم أن الإيمان بالدين وقبول حمايته من غير أهله نقيضان فى المنطق والشعور على السواء ، ولاسيما من وجهة النظر الإسلامية التى تفرض على المؤمن بها حماية نفسه فى وجه المغيرين عليه

أما الدول الديمقراطية فهى تقابل المساعى اليابانية والمساعى الشيوعية والفاشية بالتوجس والحيطة ، وتريد أن تقاومها فتعمد إلى عقد المحالفات وفض المشكلات وتوحيد المصالح بينها وبين العالم الاسلامى فى حالتى الهجوم والدفاع ، وتفتح لها الطريق فى هذا المجال بريطانيا العظمى ثم الجمهورية الفرنسية

والعالم الغربى يعتقد اليوم أن « العالم الإسلامى » يتحفز ويتوثب ، وأنه قوة رشيدة لا تعامل معاملة القاصر التابع لغيره ، ولا مناص من حسبان حسابها لمن تربطه بها علاقة قريبة

كتبت مجلة « التاريخ الجارى » فى عددها الأخير مقالاً جعلت عنوانه : « محمد يتهيأ للعودة » وعقبت ذلك بعنوان آخر لخواه أن المسلمين رقدوا خمسمائة سنة وهم يتحركون الآن ويتوثبون إلى السلطان

ثم قالت : « فى جزائر الفليبين وفى الجامعات المصرية ، فى قصور الملوك الشرقيين وفى خيام التتار المترحلين ، على كراسي البرلمان اليوغسلافى وبين أكواخ الزنوج عند الشاطئ الذهبى ، فى آجام أفريقيا وفى صحارى آسيا ، يترقب المسلمون كل يوم بل كل ساعة مطلع المهدى الذى يتجسد فيه محمد عليه السلام ، وقد تيقظت قوة الاسلام واتخذت لها شكلا سوياً فى عالم السياسة ، ولا تزال « التعاليم المحمدية » سارية منتشرة بين الشعوب اللونة التى تجد من القرابة بين إدراكها وبين هذا النوع من التوحيد ما ليست تجده فى المسيحية أو اليهودية . وهنالك عامل آخر من عوامل هذه الحركة وهو إخصاب الشعوب الإسلامية وتوالدها . فإن الشعوب البيضاء تصاب بالعقم وقلة النسل بينما يتوالد المسلمون كالأرانب ! »

وعلى هذا الاهتمام باليقظة الإسلامية وهـذا الإيمان بقوتها هل تراهم يعرفون الحقائق عن الإسـلام أو عن أخبار المسلمين الجوهرية ؟

إن مجلة « التاريخ الجارى » من أوثق المجلات الأمريكية خبراً وأصدقها بحثاً ، ومع هذا ترى الخلط فيها بين نهضة الاسلام وبين ما تسميه انتظار المهدى الذى يتجسد فيه محمد عليه السلام

وترى قبل ذلك أنها تمهد لمقالها فتقول : « فى كل يوم من أيام الجمعات يقف خمسة وعشرون ألفاً من رعايا الولايات المتحدة خاشعين مكتوفى الأيدى متوجهين إلى الشرق يصلون إلى الله ويسألونه قرب ظهور المهدى المنتظر . فإن أبناء الإسلام هؤلاء قد حافظوا على عقيدتهم الغامضة فى رجعة مسيحهم كمحافظة المائتين والخمسين مليوناً من إخوانهم الموزعين بين مراكش وجزائر سنداى وبين مدغشقر وأرض المغول »

فأين العلم بالإسلام ونهضة المسلمين ممن يكتبون هذه الكتابة وهم محسوبون بين أبناء وطنهم ممن يحسنون الخوض فى هـذه الشؤون ؟

على أن الجهل بالأخبار الواقعة لا يقـل عن الجهل بالعقائد النفسية والشعائر الدينية ، فقد كتبت مجلة أمريكية أخرى اسمها « أخبار الأسبوع » تقول بعنوان : (الخليفة فاروق) :

« لمـا دخلت تركيا الحرب فى سنة ١٩١٤ أعلن السلطان عبد الحميد (هكذا) باعتباره خليفة المسلمين الدعوة إلى الجهاد أو الحرب المقدسة على الحلفاء الكافرين ، وقد فشلت هذه الدعوة ولكنها كلفت بريطانيا العظمى وفرنسا وهما تحكمان مائة مليون وستة ملايين من المسلمين نفقات جمة فى مقاومتها بدعوة أخرى ، وبذلت الدولتان تلك النفقات وهما خائفتان .

« ثم ألغى كمال أتاتورك الخلافة فى سـنة ١٩٣٤ بعد إقصاء السلطان .

« ثم قام موسوليني ينادى بأنه حامى الإسلام ويستثير العرب على بريطانيا العظمى فى فلسطين وغيرها من البلاد . وشاع أنه أراد بعض حكام العرب من أصدقائه على أن ينصب نفسه للمبايعة بالخلافة ، وإن كان الأمل فى نجاح الجهاد اليوم أضعف من ذلك الأمل فى سنة ١٩١٤ مكتفياً بما تستطيع تلك الخلافة من المضايقة فى بعض الأحوال » .

وبعد أن أشارت المجلة إلى منافسة بريطانيا العظمى فى هذه الحلبة قالت ما خلاصته أن صاحب الجلالة الملك فاروق بويع فى الأسبوع الماضى بالخلافة فى مسجد قيسون العظيم ، وأن خمسمائة ضابط هتفوا فجأة للخليفة الفاروق! وأن أمراء العرب شهدوا ذلك الحفل كأنما كان شهودهم إياه من قبيل المصادفة .

* * *

هذه أمثلة من جهلهم بعقائد المسلمين وأخبار بلاد المسلمين ، وهم يهتمون جد الاهتمام بنهضة المسلمين .

ويرجع هذا الخلط إلى أسباب : بعضها مقصود ، وبعضها غير مقصود .

فمن الأسباب ما هو مقصود لأغراض سياسية أو تجارية كتمثيل المسلمين فى صورة تسوغ للدول المستعمرة أن تعاملهم معاملة المتأخرين الذين لا يصلحون لقوانين الحضارة وقواعد الحرية

ومن الأسباب ما هومقصود لأغراض فنية ونعنى بها الرغبة فى التأثير والإغراب وتشويق القارىء إلى العجائب التى لا يألفها فى بلاده وبين أبنـاء وطنه . ومن الكتاب الغربيين من يتعمد التحريف فى أخباره لأنه يخشى أن « يخيب أمل » القراء فيه إذا أصغوا إليه ليحدثهم عن شعوب الشرق وأحوال الإسلام فإذا هو يحدثهم بما يألفونه ولا يستغربونه ولا يحققون به تلك الصور المزخرفة التى طالما تخيلوها وحلموا بها وهم يقرأون ألف ليلة وليلة ويستعيدون ما نقل إليهم من أقاصيص الرحالين فى الزمن القديم .

أما غير المقصود من الأسباب فمنشأه قلة الاكتراث وصعوبة البحث وعزلة المسلمين فى العصور الماضية وسماع أخبارهم من جهلاء بينهم لا يفقهون أسرار دينهم ولا يبالون ما يهذرون به عن عقائدهم وعاداتهم ولا يدركون الفرق بين ما تعودوه ودرجوا عليه وبين ما هو من حقائق الإسلام وشعائره الصحيحة .

على أن الذى يعنينا حق العناية هو أن نعلم نحن حقيقة